Arabic Language & Literature **https:// journals.ut.ac.ir/**
Vol. 18, No. 2, Summer 2022 **Print ISSN: 1735-9767**
Manuscript Type: Research Article **Online ISSN: 2423-6187**
DOI: 10.22059/jal-lq.2021.324131.1166

Analytical and Critical Study of the Characteristics of Romanticism and Socialist Realism in the Poetry of Abbas Mahmoud al-Aqqad

Narges Zamani[1], Sardar Aslani[2]*, Askar Ali Karmi[2]

1. Ph.D. Student, Department of Arabic, University of Isfahan, Iran
2. Associate Professor, Department of Arabic, University of Isfahan, Iran

(Received: May, 19, 2021; Accepted: December, 30, 2021)

Abstract

"Aqqad" is one of the outstanding poets of "School al-Diwan" with the focus on criticism and literature. Although his poems, especially those about nature, love and imagination, have the characteristics of Romanticism, after entering politics, he began to record political and social events and spoke openly about the sufferings that the colonizers and occupiers had imposed on people. Addressing such an issue is the specific feature of the school of Socialist Realism. Therefore, we decided to examine some aspects of the social situation in Egypt with an analytical descriptive method and find an answer to the following question: how did Aqqad coordinate the signs of the school of Romanticism and features of the school of Socialist Realism? One of the most important results obtained in this research is that, along with the tendency to the school of Romanticism and its well-known features, the poet has taken strong steps towards transformation and building human societies in the shadow of love, friendship and social justice. He called on his compatriots to stand up against the oppressors who paved the way for the warring foreigners, and he also helped deprived and poor people.

Key words

Abbas Mahmoud al-Aqqad, Emotion, Imagination, Freely life, Justice.

⋆ **Corresponding Author, Email:** aslani@fgn.ui.ac.ir

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٨ ، العدد ٢ ، الصيف ٢٠٢٢م
صفحة ٢٠٧ – ٢٣٠ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

دراسة تحليلية ونقدية لمعالم الرومانسية والواقعية الاشتراكية في شعر عباس محمود العقاد

نرجس زماني[١]، سردار أصلاني[٢]*، عسكرعلي كرمي[٣]

١. *طالبة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان ، إيران*
٢. *الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان ، إيران*

(تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠٥/١٩؛ تاريخ القبول: ٢٠٢١/١٢/٣٠)

الملخّص

يُعَدّ عباس محمود العقاد من أعلام مدرسة الديوان في النقد والأدب التي اشتهرت بالنزعة الرومانسية. وإن كانت أشعاره اتّسمت بسمات المذهب الرومانسي ، خاصة في شعره عن الطبيعة والحبّ والخيال؛ لكنّه بعد تورطه في الحياة السياسية توجّه اهتمامه إلى تسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية وصرّح في شعره عمّا يعاني من هموم ومعاناة ترتبط بالواقع الشعبيّ الذي فرضه المستعمرون المحتلون على شعبه. فيها سمات خاصة من الأدب الواقعي الاشتراكي ، مما دفع الباحثين لهذا المقال إلى الإجابة عن السؤال التالي: كيف لائم العقاد بين سمات المدرسة الواقعية الاشتراكية والمعالم الرومانسية البارزة في شعره؟ اتخذ هذا البحث المنهج الوصفي- التحليلي عمادا له لدراسة بعض جوانب حياة المجتمع المصري. من أهم ما توصّل إليه هذا البحث: إنّ الشاعر إلى جانب نزعته الروحية إلى الرومانسية ومظاهرها المعروفة ، خطا خطوات جبّارة نحو تطوير وبناء مجتمع انسانيّ تسوده المحبة والإخاء والعدالة الاجتماعية ، ودعا مواطنيه إلى الوقوف في وجه الظالمين والطغاة الذين يعبّدون الطريق للغزاة الأجانب ويناشدهم مساندة الفقراء.

الكلمات الرئيسة

العقاد ، العاطفة ، الخيال ، وقائع الحياة ، العدالة.

* الكاتب المسؤول
Email: aslani@fgn.ui.ac.ir

المقدمة

كلّ مذهب أدبي بإمكانه الإفادة من الإمكانيات الفكريّة والاجتماعيّة السائدة في عصره. تكشف هذه الإمكانيات عن الأحوال النفسية والاجتماعية للعباقرة من نقّاد العصر وكتّابه وشعرائه ومفكريه. عباس محمود العقاد هو شاعر رومانسي ومفكر عملاق وأديب نابه ،ولكنّه بقدر انتمائه إلى المنهج الرومانسي ، ينتمي إلى المنهج الواقعي أيضا. و«كل شعر يدعو إلى تحرير الإنسان من مظاهر العبودية و إلى الحياة الحرة الكريمة المحررة من نير الاستعمار والذي ينبع من شعور صادق بالتجربة والمعاناة ، يمكن اعتباره واقعيا ، عموديا كان أم حرّا» (الأيوبي ، ١٩٨٤: ٣٨٢). وإن كان العقاد «قد نقد في أول الأمر شعراء النهضة وعابهم بتسجيل الأحداث السياسية والاجتماعيّة ، فإنّه اضطرّ أن يسلك في بعض الأحيان سبيلهم خاصة بعد سنة ١٩٢٢م عندما اختلط بالحياة السياسيّة ، وأصبح عضوا عاملا في التعبير عنها باسم أحزابها» (ضيف ، ١٩٦١: ٦٩).

معروف أنَّ الرومانسية أدب يتحدَّث عن المغامرات ومصدره المشاعر والإحساسات التي تثير الخيال وترى ضرورة التحرير عن القيود الأدبية ، ويتحدَّث عن الآلام التي منشأها خلاف بين الواقع السَّيِيء والأمل المرتجى ويقتحم هذا الواقع ليعوض ما حرم «وشاعت هذه الحالة ، حتّى غدت مرضا عاما ، فسمّيت مرض العصر» (الأيوبي ، ١٩٨٤: ٢٠٤). وقد رأى الرومانسيون ، الدّين ملاذا لنفوسهم الحائرة ، والطبيعة ملجأ للبعد عن الحياة الصناعية والمدنية مهدّا لآلامهم الرّوحيّة. الرومانسية اتّصلت بالواقعية أيضا؛ لأنّ منظريها عاشوا برهة مع الواقع والشارع العام طوعا أو كرها وعاشوا برهة مع أخيلتهم وديارهم المحجوبة. حيث إنّ كثيرا من الأدباء الرومانسيين أعربوا عن المواقف الاجتماعية ونقدوا الواقع السائد اجتماعيا ، بينما تطمح نفوسهم إلى تكوين المدينة الفاضلة وإن كانت خيالية. وأمّا الواقعية الاشتراكية فتؤمن بانتصار الطبقة العاملة أي" البرولتاريا" في المجتمعات الصناعية الرأسمالية وتكوين النظام الماركسي مهيّئا للنظام الشيوعي. وترسم الصورة المشرقة التي ينبغي للمجتمع أن يحقّقها نحو تصوير الخير والأمل ، وتجسيد ما يؤدي إلى حياة حرّة ، يتساوى فيه الجميع أمام المصير الإنساني وتسود العدالة ويعمّ الخير جميع طبقات المجتمع.

يهدف هذا البحث إلى دراسة المعالم الرومانسية والواقعية الاشتراكية في شعر العقاد والإجابة عن كيفية وئام المدرستين المتضاربتين عنده. كما أنّ هذا البحث يحلّل تصورات العقاد وسمات دعوته إلى ما يرنو ويهدف من المجتمع المثالي ويشير إلى خلاصة آرائه الاجتماعية وأفكاره الإصلاحية بالإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هى أهم المعالم الرومانسية التي قد تناولها العقاد في شعره؟
٢. ما هى المعالم الواقعية الاشتراكية في شعر العقاد؟
٣. كيف لائم العقاد بين الاتجاه الرومانسي والواقعي الاشتراكي في شعره؟

فرضيات البحث

١. يبدو أنّ أهم المعالم الرومانسية ، في شعر العقاد ، هي الحب والطبيعة واستخدام الخيال.
٢. يبدو أنّ المعالم الواقعية الاشتراكية في شعر العقاد ، هي معالجة الظلم والفقر والفجوة الطبقية والوطن وإصلاح المجتمع.
٣. يبدو أنّ العقاد صوّر كثيرا من الواقعيات الاجتماعية بأساليب رومانسية.

خلفية البحث:

هناك كتب ودراسات عن العقاد ، وحياته ، وأدبه؛ منها

١. "المدخل إلى شعر العقاد" لأحمد ابراهيم الشريف ، بيروت ، ١٩٨٨م ، تناول سمة شخصية العقاد والتنقيحات في دواوينه والغموض والعقلانية والتجديد والإبداع في شعره وأشير فيه إلى أنّه يهتمّ بواقع الحياة اليومية خلافا لآراء النقاد الذين يتّهمونه بالترفّع والتعالي على واقع الناس. وبالقبوع في البرج العاجي وجاء ببعض أشعاره دليلا لادّعائه.
٢. "عباس العقاد ناقدا" لعبد الحيّ ديّاب ،القاهرة ، ١٩٦٦م ، تحدّث المؤلف عن حياة العقاد السياسية واتجاهات التجديد في النقد عند العقاد وعن معاركه النقدية التي كان لها أثر في تعميق بعض نظرياته النقدية و عن أثر نظرياته في الشعر والنقد بنوعيه: العام والخاص وربط هذه النظريات بالمبادئ النقدية في النقد الأروبي.
٣. "دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية" لعباس محمود العقاد ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، فيه فصول متفرقة في مناسبات متعددة في بعض الصحف والمجلات الأدبيّة. تدور الموضوعات حول القضايا الأدبيّة المعاصرة والتيارات الاجتماعية والمذهبية التي عرفها القرن العشرون.منها: الاتجاهات الحديثة في الأدب العربي ، وكيف يكون التجديد في الشعر ، والواقعية في الأدب والنقد.

٤. "العقاد بين الشاعرية والنقد" لمحمد تقي رئيسي، جامعة سمنان، ١٣٩٠هـ ، ش، تناولت الرسالة آثار العقاد الشعرية والأغراض الهامّة في شعره، وآثاره النقدية والمؤثرات الأجنبية التي تأثّر منها في هذا المجال، وظاهرة التقليد والتجديد في شعره، و أسلوبه في النقد، وموقفه من الجمال.

٥. "تحوّل القصيدة من الرومانسية إلى الواقعية في شعر المصري الحديث من (١٩٤٨-١٩٦١) لدعاء صابر، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م، من أهم موضوعاتها، محاولة تتبع حركة التحولات والتغييرات التي مرّت بها القصيدة المصرية ما بين الرومانسية والواقعية. وقعت الدراسة في بابين، الباب الأول: معالم التحول والباب الثاني: صياغات التحول.

٦. "الشعر العربي الحديث؛ بين الرومانسية والواقعية لمهدي اسماعيلي، فصلية اللسان المبين، العدد الخامس، ١٣٩٠ش. تسعى المقالة لتستوعب الواقعية ودراسة المدرسة الأدبية بشكل عام ومن ثمّ تتطرّق إلى الأسباب التي أدّت إلى تفوّق هذه المدرسة على المدرسة الرومانسية.

٧. "عباس محمود العقاد أديب خلّاق وسياسيّ عملاق" لسردار اصلاني، مجلة الآداب، بغداد، العدد١٢٥، ٢٠١٨م. درس الباحث آراء العقاد الاجتماعية والسياسية الواقعية وآرائه الأدبية الخيالية والرومانسية .

٨. "موضوعات شعر العقاد" مجلة عود الند، لنصرالدّين شيخ الدّين عثمان من سودان ،ج١، ١٢٠١٥ج٢، ٢٠١٨م، جاء ببعض أشعار العقاد ووضّح موضوعاتها، وحلّل تحليلا دلاليّا وشكليّا لبعض أشعاره. وهكذا علّق: دعوة العقاد للتجديد قد وجدت أصداء واسعة في شعره، فهو لم يحصر نفسه في دائرة التقليد. فوجد في الحياة اليومية موضوعات صالحة للشعر لم يألفها الشعراء من قبل.

رغم أنّه يختلف بحثنا هذا تماما عن هذه الكتابات؛ لأنّه يتطرق إلى اتجاهاته الرومانسية والاجتماعية الإصلاحية في إطار خصائص المدرستين الرومانسية والواقعية الاشتراكية في مفهوم الشاعر وتلقّيه وكيفية الانسجام بينهما. يرى معظم الدارسين والنقاد أنّه ينتمي إلى المدرسة الرومانسية، غير أنه بحاجة ماسة إلى دراسة ونقد أكثر للمواقف هذه. قبل دراسة أشعار العقاد لنتناول الحوادث السياسية والاجتماعية التي أثّرت على حياته وأدبه في عصره.

ملامح عصر العقاد الاجتماعية ، والاقتصادية والأدبية

لقد عاش عباس محمود العقاد فترة الاحتلال فمرّت بمصر أحداث معقدة ومُرّة ، بينما أدّى دوره الرّيادي والرّسالي فيها. «وفي أثناء حكم صدقي (١٩٣٠-١٩٣٤م) دخلت مصر في ظلال عهد استبدادي أُلغِيَ فيه الدستور والحياة النيابية ، فثارت ثائرة كتّاب الأحزاب وعلى رأسهم العقاد؛ فكتب كتابه "الحكم المطلق في القرن العشرين" وهو أغنية بارعة في الديمقراطية وصلاحيتها للأمم الشرقية. وتناول في بعض مقالاته الملك الطاغية فؤاد ، وقُدِّم بسببها إلى المحاكمة ، وحكم عليه بالسجن تسعة أشهر» (ضيف ، ١٩٦١: ١٣٨). ولكن السجن لم يضعف إرادته ولم يمنعه من المكافحة في سبيل وطنه وأمّته.

من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فلا ريب في أنّ الحالة الاجتماعية والاقتصادية تتأثّر إلى حد كبير بالحالة السياسية. وقد أشرنا موجزاًإلى البيئة المصرية السياسية ، «فالأتراك والأرمن كانت لهم شؤون الحكم والوزارة والغنى والجاه ، فجاءت الثورة المصرية وخلقت في مصريين ، الثقة بما مكنت لهم في شئون الوزارة والحكم فأصبحت الأداة الحكومية أداة مصرية إلى حد كبير»(مرزوق ،١٩٦٦: ٣٤٨).

لقد ارتبطت نهضة الأدب العربي في مصر بعوامل بارزة منها: إنشاء المدارس ، الطباعة ، الصحافة والترجمة. وكانت ظروف العالم غير ملاءمة للرّقي الفكريّ والأدبي. «قامت الحرب العالمية الثانية فاختفت منابر الأدب وصمت الشعراء والكتّاب إلّا قليلا ، وبانتهاء الحرب بدأت حياة جديدة في الشرق العربي ، وقيام "جامعة الدول العربية" عام ١٩٤٥ كان من مقدمتها ، وبسبب هذا القيام حصلت الشعوب العربية على حرّيتها واستقلالها ، وبدأ الناس يفكرون في البناء الاجتماعي ، فنشأت طبقة من الشعراء والكتّاب الواقعيين الذين يحلمون بمجتمع أفضل ، ونشأت مذاهب أدبية ونقدية وشعرية متميزة في ظلال ذلك الواقع الاجتماعي الجديد» (خفاجي ،١٩٩٢ ،ج١: ٥٨).

العقاد سيرته الذاتية والأدبية

ولد العقاد (١٨٨٩م-١٩٦٤م) في أسوان بمصر «في شهر حزيران (يونيو) ١٨٨٩م. كان أبوه يعمل أمينا للمحفوظات بإقليم أسوان. وعندما بلغ السابعة إلتحق بالمدرسة الإبتدائية ، ومن صفاته الشخصية الاعتزاز بالنفس ، والذكاء ، والنبوغ. في سن الطفولة تعرّف على أفكار جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعبدالله النديم في المجالس التي انعقدت في منزل القاضي أحمد الجداوي. وبدأ عمله في صحيفة (الدستور) التي أنشأها محمد فريد وجدي

سنة ١٩٠٧م. وقد تأثر في كتابة مقالاته بالأعمال الأدبية الإنجليزية ومنها أعمال ماكولي، وآرنولد، وهازلت و...»(السكوت، ١٩٨٣: ٣-١٥). إضافة إلى منزلة العقاد العالية في النثر الأدبي، وتطوره في الأسلوب، هو شاعر وشاعريته يظهر في دواوينه العشرة. «فظهرت له عدة دواوين ابتداء من سنة ١٩١٦م وهي "يقظة الصباح"، و"وهج الظهيرة"، و"أشباح الأصيل"، و"أشجان الليل"، وقد نشرها فيما بعد مجتمعة في ديوان باسم "ديوان العقاد". ثم أضاف إلى هذا الديوان أجزاء أخرى وهي "هدية الكروان"، و"وحي الأربعين"، و"أعاصير مغرب"، و"عابر سبيل"، و"بعد الأعاصير"، و"ما بعد البعد"» (خليل، ٢٠٠٧: ١٤٨).

العقاد رغم تورطه في الواقع الاجتماعي والسياسي لم ينفصل أبدا عن القيام بدوره الأصيل وهو تعزيز الأدب والنقد والإبداع فيهما. «فهو خلال حياته الطويلة المثمرة، بقي مخلصا للدور الذي نصب نفسه له وهو دور حامي القلعة الأدبية» (الجيوسي، ٢٠٠١: ٢١٩).

الرومانسية في الأدب العربي الحديث

«كان للاستشراق الأوروبي ولهجرة المشارقة العرب وخاصة اللبنانيين والسوريين إلى الأميركيتين، وانتشار الآداب الغربية في بلاد المشرق العربي والاطلاع عليها: أصلية أو مترجمة...آثار وعوامل في خلق تيارات أدبية جديدة في الأدب العربي وأوصلته بآداب الغرب ومدارسه» (الأيوبي، ١٩٨٤: ٢٧٨).ومن أهم المدارس الأدبية التي تركت أثرا كبيرا في الأدب العربي المعاصر، المدرسة الأدبية الرومانسية، التي وجدت طريقها مفتوحا إلى قلوب الأدباء العرب واستمرت حركتها بقوة وصلابة في آثارهم، منها: مدرسة الديوان المؤلفة من الأدباء الثلاثة: العقاد والمازني وشكري.

ومن الملامح الرومانسية في أشعار العقاد: التعبير عن العواطف الفردية، واستخدام الخيال، ووصف الطبيعة، وما فيها من الحبّ والمرأة، وغيرهما.

التعبير عن العاطفة الفردية

من خصائص الشعر الرومانسي «الصدق في التعبير عن العواطف الفردية والمشاعر العميقة التي تجتمع في أعماق النفس» (الأصفر، ١٩٩٩: ٦٩). يقول فيكتور هيجو «إنّ الشعر هو النواحي الحميمة في كل شيء. والشعر، يجب أن يعرّف بذات الشاعر وشخصه أكثر من فنّه الشعري» (الأيوبي، ١٩٨٤: ١٩٦) و نحن نجد هذا التعبير عن الذات في قصيدة بعنوان "نَفثَة". في قوله ظمآن، حيران، يقظان، غصّان، أسوان، سأمان، تعبير عن ذاته الملتهبة ومرآة لنفسه القلقة الحزينة ويبدو أنّ صاحبه مغموم ويائس وتمتلىء حياته مرارة. يحاول العقاد

بها أن يخفف عن نفسه بالكشف عن مشاعره وأحاسيسه ليظهر ما جرّبه وعاناه داخل الحياة الاجتماعية:

ظَمآنُ ظَمآنُ لا صَوبُ الغَمامِ وَلا عَذبُ المُدامِ وَلا الأنداءُ تُرويني
حَيرانُ حَيرانُ لا نَجمُ السَّماءِ وَلا مَعالِمُ الأرضِ فِي الغَمّاءِ تَهديني
يقظانُ يقظانُ لا طيبُ الرّقادِ يدا نينِي ، وَلاسَمرُ السُّمَّارِ يلهينِي
اً صاحبَ الدَّهرِ لا قَلبٌ فَيسعَدُنِي على الزَّمانِ وَلا خِلٌّ فَيأسُونِي

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٢٢٦)

الشاعر يستلهم الطبيعة الغناءة إلى جانب الثقافة الاجتماعية التراثية."صوب الغمام" و"نجم السماء" ظاهرتان طبيعيتان تشيران من جانب إلى واقع صعوبات الحياة ومشاكلها لمن كان يعيش في الصحاري القاحلة والذي لايفكر إلّا بنزول الامطار تغيثه وأغنامه من مرارة العطش كما لا يجول في خاطره إلّا التخلص من حيرة الظلام باستنجاد النجوم والمعالم. ما أنس لا أنس أنّ البون بين فكرة من عاش في الجاهلية ومن يعيش في العصر الحديث شاسع جدّا كما أنّ المتطلبات العصرية تختلف تماما. لأنّ الظمأ الجاهلي قريب من الواقع بل حقيقي لا يتجاوز عن العطش الذي يعتري الجسم في حين أن العطش الذي يعبر عنه العقاد يكون عطشا نفسيا وفكريا.

إذا قمنا بمقارنة الخمرة بالمدام مقارنة دلالية نرى أن الفرق بينهما هو دوام الأثر والتأثير الذي يحمله لفظة المدام دون الخمرة؛ فالشاعر يستخدمه متعمدا كي يشير إلى ذروة العطش وشدته وعدم قدرة المدام العذب في التأثير فيه والتخفيف عن آلامه وأحزانه. والشاعر لا ينسى الموروث التربويّ أيضا وهو الحكايات الليلية التي سمّيت بالأسمار ولها تأثير لا مثيل له في تربية الأولاد والتواصل المرغوب فيه بين أعضاء الأسرة لترويض الروح وتخفيف الاكتئابات والوساوس والقلق الذي قد يعتري أعضاء الأسرة والمجتمع. ولكنّه يعتقد أن الأسمار فقدت قدرتها للتأثير لشدة الأوجاع والآلام النفسيّة الرّوحيّة وكثافتها. كما لاينسى الشاعر ثنائية الملاذين: القلب كمعتمد ذاتي وملجأ داخلي ، والخلّ كمعتمد وملاذ خارجي. والإنسان في خلواته يلجأ إلى قلبه يناجيه كما يأوي في جلواته إلى صديق يواسيه ليبرد حرقة ما يعانيه فنرى الشاعر بفقدانهما يقع في مأزق محير.

«هكذا نجد العقاد يصور خوالجه وفيها من رنات الأحزان ما يسترق القلوب ويستجلب المدامع ، ولعل هذا القلق من الحياة هو الذي دفعه إلى الحذر منها و إلى التفكير في مصير الطارئين عليها» (خفاجي ، ١٩٩٢ ،ج٢: ٣٨)

وصف الطبيعة

من الخصائص الأخرى للشعر الرومانسي «الانديا‌ح في عالم الطبيعة ، والركون إلى أحضانها ، والوصول إلى فلسفة طبيعية قوامها ثنائية البشر والطبيعة ، ورموز الطبيعة ، التي تقول لنا بأبجديتها كل شيء وتعبر عن أشياء نحسها ولا نراها وعن كل علاقات البشر وأحوالهم ، والتوحيد بين الطبيعة والإله والإنسان» (الأصفر ، ١٩٩٩: ٦٩). في قصيدة بعنوان"الخريف" نجد هذا الركون والميل إلى أحضان الطبيعة؛ وصف حركة الغمائم في السماء في فصل الخريف وتشبيهها بالطيور المهاجرة ،والإشارة إلى اللون الأبيض يعطينا إحساس الهدوء والصفاء والتمتع بالسلام الذي لا يفارقنا ،وندرك أنّ الشاعر يجد الخلوة الحقيقية في حضن الطبيعة ويشعر شعورا مؤمنا بخالق هذه الطبيعة ويجد الوحدة بين الطبيعة والإله والإنسان.:

حَيُّ الغَمائِمِ فِي السَّماءِ كأنَّها ... طَيرٌ سَرتْ فِي مُستَهَلِّ الرَّبيع
بَيضَاءُ تَرتَعُ فِي فَضاءٍ شاسِعٍ ... صافِي السُّراةِ على السَّنا مَرفُوع
تَرفُو حَواشيها الرِّياحُ وَتَنتَحِي ... أوْساطَها بِالفَتقِ والتَّرقِيع
والدَّوْحُ مَهدولُ الأرائكِ ساهِمٌ ... كالعاشقَين هُنَيهَةَ التَّوديع

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٥٣)

وصف العقاد الخريف -«والرومانسيون يؤثرون الخريف بين الفصول» (الأيوبي ، ١٩٨٤: ١٧٥).-وشبه كثرة الغيوم في هذا الفصل بتحليق الطيور في بداية فصل الربيع والرياح تجمع هذه الغيوم البيضاء تارة وتفرقها تارة أخرى. تتهدّل الأشجار كالعاشقين وقت التوديع أغصانها. يريد الشاعر تصوير عاشق مغموم حزين حائر فيستنجد الغمائم بحضورها في السماء فتجعل كل شئ غائما ،كما يريد بيان حركية العاشق ونشاطه نحو الغرض المرغوب فيه فيستخدم الطيور بطيرانها في السماء ، كما لا ينسى عدم قدرته على تحمل الفراق والهجر فيصوّره في صورة الأشجار التي تهز الرياح أغصانها فكأن الرياح هي عواصف صعوبات الحبّ فيؤدي إلى النُّواح والهديل.

وجريا مع المذهب الرومانسي نجد العقاد يختار طائرا من الطبيعة ، (الكروان) ويحاوره في قصيدة "الكروان المجدّد":

أنا فِي لِسانِكَ حَيث أطلَقهُ الهَوى مَرحاً ، وَإن غَلَبَ السُّرور لِساني
أنا فِي ضَميرِكَ حَيثُ باحَ فَما أرَى سِرّا يغيِّبُهُ ضَميرُ زَماني
أنا مِنكَ فِي القَلبِ الصَّغيرِ ، مُساجِلٌ خَفَقَ الرَّبيع بِذلكَ الخَفَقانِ
أنا مِنكَ فِي العَينِ الّتِي تَهَبُ الكرى وَتَضُنُّ بِالصَّحواتِ وَالأَشجانِ

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٤٧١)

يقول إنّه «صوته الذي يترنم به وضميره الذي يظهر أسراره وقلبه الصغير الذي ينافس خفق الربيع بخفقاته» (عثمان ، ٢٠١٥ ،ج١: د.ص) وعينه التي تعطيه النوم وتبعده من الهموم والأشجان. في وصف هذا الطائر يستخدم العقاد التجسيد(التشخيص) ويختار ضمير الخطاب ،في «لسانك ، وضميرك ، ومنك» فيصوّر الطائر انسانا يحاوره كما فعل «شيلي في قصيدة sky lark أو مثل أوسكار وايلد في قصيدة "العندليب والوردة"» (خليل ، ٢٠٠٧: ١٥١). ووصفه لهذا الطائر ليس بمجرد وصف طائر يغنّي في ليالي الوادي بغناء عذب بل يرى العقاد نفسه في هذا الطائر ويتكلم بلسانه ويتّحد معه بمثل اتحاد الطبيعة بمخلوقاتها وموجوداتها.

استخدام الخيال

«التمادي في الخيال والتصورات من خصائص الشعر الرومانسي سواء أن يكون إبداعيا واعيا أم أحلاما. وذلك يرجع إلى أنّ الشعراء الرومانسيين لا يرضون من الواقع المرير ويحبون أن يهربوا إلى العالم المتخيل» (الأصفر ، ١٩٩٩: ٦٩). وأهم ما يميز الأدب الرومانسي من المذاهب الأدبية الأخرى هو الخيال. فالشاعر الرومانسي يخترق به أقطار العالم المحسوس إلي دنيا جديدة ليخلق آثارًا لاتتمثل في العالم المحسوس.

مُقفراتٌ مُغلَقاتٌ مُحكماتٌ
كلُّ أبوابِ الدَّكاكينِ على كلِّ الجِهاتْ
تَرَكوهَا ، أهمَلوهَا
"البِدارَ!" "ما لنَا اليومَ قَرَارْ!"
أيُّ صَوتٍ ذاكَ يدعُو النّا سَ مِن خَلفِ الجِدارْ؟

أدركوها أطلقُوها
ذاكَ صَوتُ السِّلَعِ المَحبُو سِ فِي الظُّلمَةِ ثَار

★★★

كالجَنينِ وَهْوَ فِي الغَيبِ سَجِينْ
إن تُحَذِّرهُ أذَى الدُّنيا وَآفاتُ السِّنِينْ
قالَ هيا حَيثُ أحيا
ذاكَ خَيرٌ مِن أمانِ الغيبِ وَالغيبُ أمينْ

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٥٧٧)

إن العقاد في قصيدة "سلع الدكاكين" يمدّ أذن خياله لتقتنص تلك الهيمنة الخفية من خلف أبواب الدكاكين ، فيسمع سلع الدكاكين تقول للناس: البِدارَ أي أسرعوا إلى نجدتنا وأطلقونا من الظلمة ، ليس لنا قرار فاعرضونا للبيع قبل أن يصيبنا البلى والتّمزيق. ويسمع صوت الجنين يؤثر متاعب الدنيا على أمان الغيب. كأنّ العقاد يشجّع في هذه القصيدة إلى الحرّية؛ لأنّ حياته السياسية هي عبارة عن صراع مرير بين الظلم والحرّية ، «وهي أثمن شيء في الحياة وإذا كانت "الجمادات" تبحث عنها فأحرى بالأحياء أن يدفعوا حياتهم ثمنا لها» (عثمان ، ٢٠١٥ ،ج١: د.ص). والعقاد «يربط الجمال بالحرية ، وكان ذلك رأي شلي الشاعر الإنجليزي؛ فالجمال والحرية عنده وجهان لحقيقة واحدة» (خفاجي ،١٩٩٢ ،ج٢: ٤٠٢).

الحبّ والمرأة

«قد سما عند شعراء الرومانسيين الحبّ إلى مرتبة العبادة واتّجهوا صوب المرأة فأعطوها منزلتها وأعادوا إليها اعتبارها الاجتماعي ، ولكن اختلفت روحهم الشاعرية في النظر إليها ، فبينما وجد فيها بعضهم الحبيبة المعبودة والملاك التي هبطت من السماء ،رآها الآخرون تجسيدا للشرور الشيطانية ومجلبة للشقاء ،وشاهد فيها بعض الآخر كلا الوجهين» (الأصفر ، ١٩٩٩: ٦٤). والعقاد في الزمرة الثالثة يذمّها مرة ويمدحها ويعتذر إليها مرة أخرى. يمكن مشاهدة كلا الموقفين في أشعاره مثل القصيدتين التاليتين. في قصيدة "أهجوك" هو يعتذر إليها ويبالغ في مدحها ويتغّنى بصفاتها ويتحمل قسوتها ويسمح لنفسه الشامخ أن يقبّل يديها اللتين تجرحانه؛ فهو لايحزن من قسوتها بل يفرح ويلهو بها:

أهجُوكِ يا أكرمَ مَنْ أمدَحُ وَمَنْ بِإطرائِي لَها أصدَحُ
قاسِيةٌ أنتِ وَلكنّني أُقَبِّلُ الكفَّ الّتِي تَجرَحُ
وَأعظَمُ القَسوَةِ تِلكَ الّتِي يلهُو بِها المَجروحُ، بَل يفرَحُ

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٣٣٧)

ومن موقفه أمام المرأة ، مدحها والتنازل عن جبروته وشموخه ، في كلمات «يا أكرم من أمدح»؛ -لأنّ جذوة الحبّ مستعرة في قلبه- فهو رغم جراحته بيدها يقبّلها؛ إنّه ينبعث من صفاء روحه وطهر مشاعره. وهذه المشاعر في شعره تؤكّد «أبرز مواصفات الحبّ الرومنطيقي ، القائم على طهارة القلب وتسامي الروح. فوق الشهوة الحسية والنزوات الطائشة» (الأيوبي ، ١٩٨٤: ١٧٨). و في استعمال كلمة قاسية للقلب والجراحة للكفّ مقارنة بين المعقول والمحسوس.

إنّ تجربة العقاد مع "سارة" قد تركت في نفسه جروحا كثيرة ، فهو أخلص في حبّها ويرى فيها مثالا للطّهر والعفاف ، ثم يظّن أنّها امرأة خائنة تتلاعب بمشاعره وكانت صدمة كبيرة لأحاسيس العقاد فأصبح يرى في "سارة" نموذجا للنساء جميعا. في قصيدة" المرأة والخداع" يذمّ العقاد المرأة ويحسب الخديعة من طينتها ويقول ليس لها بدّ من أن تهذّب نفسها. هي تخدع الصديق والعدو على السواء وخلقت كذلك. وعليك أن لا تخلص لها وانتقل إلى أغلى منها:

خَلِّ المَلامَ فَلَيسَ يثنِيهَا ، حُبُّ الخِداعِ طَبيعَةٌ فِيها
وَسِلاحُها فِيمَا تَكيدُ بِهِ مَن يصطَفِيهَا أو يعادِيهَا
وَهوَ انتِقامُ الضَّعفِ ينقِذُها مِن طولِ ذُلٍّ باتَ يشقِيهَا
أنتَ المَلومُ إذا أرَدتَ لَها ما لَم يردّهُ قَضاءُ بارِيهَا
خُنها! وَلا تَخلُصْ لَها أبداً تَخَلَّصْ إلى أغلَى غَواليهَا

(العقاد ، د.ت ، مج2: 681)

تكرار حرف"الخاء"في الكلمات: خلّ والخداع وخنها وتخلّص ، وهي من الحروف المجهورة يثير انتباه المخاطب في كثرة حزنه وتحسره. وتكرار حرف"القاف" التي تعد من الحروف الشديدة في كلمات مثل انتقام ، ينقذ ، يشقي وقضاء ، يكشف عن نفوره من النساء.

الواقعية الاشتراكية والعقاد الأديب الثائر

الشاعر إبن زمانه وعليه أن يكون صدى لما يقع في عصره ،ويرى العالم الموجود بكل تطوراته وأحداثه ،ويستفيدَ من هذه الموهبة الإلهية في سبيل مساعدة المظلومين والوقوف أمام المستبدين والظالمين ويسايرَ المصلحين لدفع الشرور في المجتمع. النقد الاجتماعي وتصوير الشرور والمفاسد في المجتمع ورفضها على عاتق شعراء المدرستين؛ الرومانسية والواقعية الاشتراكية. فإلى ذلك يجب «على الأديب الاشتراكي أن يصور جانبا واقعيا من الفترة التاريخية التي عاش فيها. وتزداد أهمية عمله الأدبي بقدر رسوخ أصوله في وعي العصر الذي كتب فيه» (هلال ، ١٩٧٣: ٣٣٥). كما فعل العقاد في شعره ، خاصة بعد دخوله في السياسة ولهذا نجد وئاما بين الاتجاه الرومانسي والواقعي الاشتراكي في شعره. وفي قصيدة "زماننا"عندما أراد أن يدعو مواطنيه إلى العزة ، والصمود ، والاستقامة ، والكرامة فلم يقف موقف الواعظ ، ولكنّه وقف موقف الأديب الثائر فصوّر مجتمعه ، وهو مليء بالجهالة والمنكر والرياء. والضلالة يحكم دون الحق بين الناس. فهو ينظر إلى الأوضاع التي تحيط بمجتمعه بتشاؤم ، فيثور عليها بأدبه ويقول:«المائعون المتملقون يتولّون أسمى الوظائف ، وأعيان الدولة جماعة ضعفت نفوسهم وقلّت علومهم وفشت خسّتهم ودناءتهم وكثر نفاقهم وجثوا خاضعين تذللا ، واللئام قد بلغوا أسمي الدرجات ، فكأنّهم القرود وقد اعتادوا التسلق» (خفاجي ،١٩٩٢ ،ج٢: ٣٥):

فشت الجهالةُ واستفاضَ المنكرُ ... فالحقُّ يهمسُ والضلالةَ تجهرُ
وَالصِّدقُ يسري في الظّلامِ ملثماً ... وَيسيرُ في الصُّبحِ الرِّياءُ فَيسفَرُ
إنّا لَفي زَمَنٍ كأنَّ كبارَه ... بِسوى الكبائرِ شأنُها لايكبرُ
سَبَقَ اللئامُ إلى ذُراه فَقَهَقهُوا ... إنَّ القرودَ لبالتَّسلقِ أخبرُ

(العقاد ، د.ت ،مج١: ١٤٣-١٤٤)

لقداستعان العقاد من عبارة "إنّا لفي زمن" للتعبير عن الفترة التاريخية التي عاش فيها ،و في قوله الحق يهمس والضلالة تجهر ، إشارة إلى سياسة الحكام الخاطئة وفيه اللون الحجاجي القائم على المقارنة بين الحق الذي من المفترض أن تكون ملامحه بارزة ، وملامح الضلالة تكون مستترة. يشير الشاعر من مقارنة بين الصدق ، ملثما والرياء ، سافرا إلى أصالة الصدق وعدم أصالة الرياء وشبّه الصدق بالمرأة الحرّة الأصيلة التي تخرج في البيئة الجاهلية ملثمة والرياء بالأمة التي كانت سافرة آنذاك.

الظلم

أشعار العقاد صوت يعبّر عن معاناته وأوجاعه ، هو شاعر يحسّ بآلام الإنسان ويشعر بما حوله من ظلم وجور. إنّ الحكام المفسدين يسعون إلى تحقيق أهدافهم وللوصول إليها وإن تطلب الأمرأن يكونوا أشد استبدادا وأكثر ظلما. والشاعر الواقعي يجحد ما في العالم الخارجي من ظلم ، في حين لا يستطيع القضاء عليه في الخارج ، فلايسكت أمام الظالم وأعوانه. في البيتين التاليين من قصيدة "عُبّاد الطغيان" شكا العقاد من الذين عزّزوا الظالم:

كلّكمْ كلّكمْ مَعَ الغالبِ الظّا لِمِ لا تَعدِموا مِنَ الظّلمِ رُغما
لَو وَقَفْتُمْ يوماً إلى جانبِ المَغلو بِ ما فازَ غالِبٌ قَطُّ ظُلما

(العقاد ، د.ت ، مج2: 656)

تكرار كلمة كلّكم يدلّ على التوكيد وتردّد الفكرة الواحدة وهي شناعة خضوع مواطنيه أمام ظلم الظالمين. وفي قوله لو وقفتم إلى جانب المغلوب إشارة إلى الإرادة الجماهيرية التي تنتهي إلى انتصار الطبقة المظلومة وكأنّه يريد بذلك أن يذّكر الإنسان بالسنن الإلهيّة الجارية في تقرير المصير الإنساني ، فالثورة تتفجر من الظلم لا محالة.

في قصيدة "بأس الطغاة" تكلم عن استبداد الحكام ومعاملتهم مع الشعب وعن استكانة الشعب وتسليمهم أمامهم بسبب جهلهم ، وإذا ما اطلع الناس على أمرهم ما نجح المستبدّون قطّ:

بأسُ الطُّغاةِ تَقولُ؟ مَهلاً. عَداكَ الذُّهولُ
هَيهاتَ يطغَى ابنُ أُنثى فِي أُمَّةٍ أو يصولُ
ما لَمْ يعِنهُ عليها جَهلٌ وَحِقدٌ دَخيلُ
هما الأَصيلانِ فَاعلَمْ وَكلُّ طاغٍ وَكيلُ
وَما لِطاغٍ سَبيلٌ لَولاهُما أوْ دَليلُ

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٦٥٨)

هو يقول إنّ الجهل والحقد سبب طغيان الإنسان ، وهما يساعدان الشخص الطاغي أن يسيطر على الناس ويستغلّهم. والإتيان بكلمة لولاهما دليل على أهمية الوعي الجماعي ، وهو مهمة الأديب الواقعي الاشتراكي.

يقول أيضاً في البيتين التاليين تحت عنوان "إنصاف الظالم":

أنصَفتَ مظلوماً فَأنصِفْ ظالِماً فِي ذِلَّةِ المَظلومِ عُذرُ الظّالِمِ
مَنْ يرضَ عُدواناً عليهِ يضيرُهُ شرٌّ مِنَ العادِي عليهِ الغانِمِ

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٤٠٨)

يريد العقاد من الناس أن يكونوا منصفين في الحكم على الظالم. وفي قوله: في ذلة المَظلومِ عُذرُ الظّالِمِ لون حجاجي قائم على المقارنة بين ذلة المظلوم وظلم الظالم؛ لأنّ الظالم لا يقدر أن يواصل أعماله العدوانية إلّا بعد أن يرى الرعية خاضعين لحكمه وراضين عن عدوانه عليهم. فإن كان كذلك فهو شرٌّ من شخص الظالم. يهتمّ العقاد في هذه الأبيات ويحاول في وعي الناس ويصف مجتمعه مغمورا بالظلم والأباطيل ويثير في القارئ ضرورة تغيير هذا المجتمع المألوف إلى مجتمع سليم بعيد عن الظلم والاستبداد. ولايدعو إليه بوصفه فردا ، بل باسم الطبقة المظلومة التي ينتمي إليها.

الوطن

لقضايا الوطن العربي مكان خاصّ في شعر الاتجاه الواقعي الاشتراكي؛ لإنّ الاعتزاز بالوطن عادة يجعل الإنسان أن ينصر الوطن. يصوّر العقاد أحاسيسه الوطنية والقومية بعد أن بدأت حياته السياسية. فهو حمل لواء النضال الفني في سبيل قضايا أمته ومجتمعه. يقول في ذكرى الجهاد في سنة ١٩٤٠م في قصيدة بعنوان "عيد الجهاد":إنّ وطني خلص من الضالين بسبب الجهاد ولكنّه محتاج إلى الهداية. يفتخر الشاعر بوطنه الذي لا ينصر الخادعين بل يخذلهم ولكن لايخذل المعتقدين. يريد العقاد أن يفديَ نفسه في سبيل وطنه وينصره بقلمه منبّها أبناءه ، من غفلتهم راجيا نجاح وطنه:

وَطَنِي سلِمتَ مِنَ الغُوا ةِ وَلاسلِمتَ مِنَ الرَّشادِ
ما فِي الجِهادِ غَوايةٌ إنَّ الغَوايةَ فِي الرُّقادِ
وَطَنِي خذلَتَ الخادِعِ ينَ وَلا خَذَلتَ ذَوِي اعتِقادِ

إنّي نَذَرتُ لَها دَمي ★★★ وَمُنى يضُنُّ بِها الجَوادُ
وَشَرَعتُ فِي مَيدانِها قَلَمِي وَإنْ نَفِدَ المِدادُ
وَعَلِمتُ أنَّ لَها غَدا يرجَى ، وَأمسٍ يستَعادُ

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٧٠٦)

في قوله: نذرت دمي وشرعت قلمي. مقارنة دلالية بين دم الشهيد وقلم العلماء وإشارة إلى حديث معروف (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) وإنّه يعبّر بتكرار "وطني" عن حبه واشتياقه إليه. «فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها» (الملائكة،٢٠١٤: ٢٧٦). وتحدّث بقوة عن مستقبل مصر الزاهر كما كان في الماضي وعن التقدم والوطنية في أبيات نحو: وَعَلِمتُ أنَّ لَها غَداً/يرجَى ، وَأمسٍ يستَعادُ. لإظهار حنينه وشوقه إلى مستقبل بلده. فيُشجّع مواطنيه على المزيد من العمل والمثابرة.

في قصيدة "حُبّ الوَطنِ" يسأل الشاعرُ المخاطبَ: هل حبّه لوطنه ، لأجل نعمه وعطاياه؟ فيصرّح أنّ حبّ الوطن من الإيمان. من يحبّ وطنه ، عليه التضحية في سبيله ،والمصريون مُكرَمون بكرامتة ومخذولون بخذلانه:

أتُحِبُّها حُبّاً لِجَدواها ؟ كنْ كالْغَريبِ إذَنْ بِمَغناها
الحُبُّ إيمانٌ وَتَفدِيةٌ منْ هامَ بِالاوطانِ فدَّاها
نَحنُ الكرامُ بِها إذا كرُمَتْ وَلَسَوفَ نُنسَى حينَ نَنسَاها

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٧٩٨)

في ترتيب كلمات الحبّ ، والإيمان والتفدية تشجيع على الروح الملحمية في مواطنيه؛ لأنّ حبّ الوطن يجعل المحبّ يضحّي بنفسه ، لتحريره من أيدي الطغاة.

يشيد العقاد في قصيدة "أبطال الفلوجة" ، بمصر وأبطال «فلوجه» الذين قاوموا الحصار في معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون فقدّمهم على غيرهم ليكونوا نماذجاً من الأبطال الذين يجب الاقتداء بهم كما «تولّى الواقعية الاشتراكية أهمية كبرى لرسم وإبراز "النموذج البُطولي" في إطار التلاحم النضالي مع الجماهير والتصميم الإرادي والصلابة والوعي والتضحية ، بحيث يصبح نمطه مثالا للمناضلين ، يحبّونه ويقتدون به» (الأصفر ، ١٩٩٩: ١٤٥):

أقامَ بِها (الضَّبُعُ) الأُسودُ فَأينَ الأُسودُ وَمَا استَأسَدوا
إذا ما هتفتَ بِفلّوجَة فَقُل عاشَ أُسودُها (السَّيدُ)

فللهِ مِصرُ وَما جَدَّدَتْ ★★★ وَأبناءُ مِصرَ وَما جَدَّدُوا

إذا مَاارْتَضَى المَوتَ أبطالُها فَرِضوانُهُم أنَّها تَخلُدُ
أعادوا لَها سيرةَالأَوَل ينَ وَالعَودُ مِنْ مِثلِهِمْ اَحمَدُ

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٨١٣)

شَبَّهَ الشاعر أبطال الفلوجة ، بالأسود لشجاعتهم و كونهم في غاية العلو والسمو؛ لأنّ بلاد مصر تبقى خالدة بأيدي هؤلاء الأبطال الذين يرضون أن يقتلوا لأجل خلود مصر وليس لهم نظير ولهم عزّة وشرف مثل أسلافهم. ويجب على الشباب أن يقتدي بهم.

مساندة العمال والضعفاء

أنشد العقاد قصيدة "دار العمال" عند افتتاح هذه الدار في صيف سنة ١٩٣٥م. وفيه لبّى دعوة العمال ومدحهم. فتلبيتهم ومدحهم بجيش السلام والإشارة إلى بأسهم ، مِن نزعته الإنسانية وحبّه للعامل. ويكون تصويره تصويرا بارعا ومؤثرا في النفوس ويعلن مساندته لهذه الطبقة الكادحة:

أيها العامِلونَ لَبَيكم اليو مَ ، وَلَبَيكم غَداً فِي المَجالِ
نعمَ جَيشُ السَّلامِ أنتُم إذا ما جَرّدَ البَغيُ جَيشَهُ لِاغتِيالِ
لَكمُ العُدَّةُ الّتي ما استَطاعَتْ أُمَّةٌ قَطُّ تَركها فِي نَزالِ
وَلَكم أذرُعٌ شِدادٌ ، وَأيدٍ مِن حَديدٍ ، وَأظهُرٌ مِن جِبالِ
وَلَكم فِي اتِّحادِكم رَأسُ مالٍ اِن فَقَدتُم ذَخائِرَ الأَموالِ
وَلَكم صَيحَةٌ يَهابُ صَداها سادَةً فِي نُفُوسِهِم كالمَوالِي

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٦١١)

في قوله «في اتحادكم رأس مال. ولكم صيحة يهاب صداها سادة» إيمان بانتصار الإرادة الجماهيرية وهو من سمات المدرسة الواقعية الاشتراكية. يقول: إنّنا نستجيب لنداء العمال دائما؛ لأنّهم جيش السلام ، حيث يقفون بوجه العتاة الظالمين ، فهم أسلحة أمّتهم في القتال ، ولهم قوّة شديدة في إنجاز الأعمال. وحدتهم رأس مالهم ، عندما صاروا معدمين في حياتهم. والمستغلّون يخافون من هُتافهم.

فالعقاد معين طبقة الضعفاء والمستضعفين وفي أيّ فرصة أُتيحت له ينشد أشعارا حول البؤساء والضعفاء ويساعدهم ويهتمّ بأمورهم ولايخفي تأثّره بهم ، وفي قصيدة " إلى

المحسنين" يشجّع الآخرين على التلطّف بهم. وأن يشاركوا ويشاطروا الضعفاء مشاكلهم ويحسب من يواسيهم أقوى الناس:

أقوى بَنِي الإنسانِ فِي بَأسِهِ مَنْ يرحَمُ الضَّعِيفَ وَيأسو
مَن يصرَعُ الجَبّارَ دُونَ الّذي الحَزين
فَالمجدُ فِي تَجفِيفِ دَمعٍ جَرَى يصرَعُ جَبّارَ الشَّقاءِ المَكين
لا فِي دَمٍ تَجرِيهِ حَربٌ زَبُون

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٤٤٨)

في قوله «فَالمجدُ فِي تَجفِيفِ دَمعٍ جَرَى/ لا فِي دَمٍ تَجرِيهِ حَربٌ زَبُون» مقارنة دلالية بين من يتغلب على الظالم ومن يتغلب على الظروف القاسية ، ويرجح الثاني على الأول ، لاهتمامه بمعاناة شعبه. الشاعر ينشر فكرة ليغيّر ما في العرف من مظاهر القوة. فإنّه يعتبر التنفيس عن المكروب ومعالجة جراح المحزون أكبر قوة يتجهز بها الإنسان ومن يدفع عن الناس شقاءهم فهذاخير من الذي يحارب ظلم الظالم ويحسب المجد في تجفيف دمع البؤساء لا في قتل الأعداء.

الفقر والفجوة الطبقية

يتخلّف التفاوت بين طبقة الغنيّ والفقير عدة مشكلات اجتماعية؛ مثل: التّسوّل ، والتّشرّد ، وارتكاب الجرائم وما إلى ذلك. وقضية الفقر والفجوة الطبقية بين الفقير والغني تشكّل إحدى أهم القضايا في شعر العقاد. فيبّين في شعره معاناة المظلومين والمضطهدين وظروف حياتهم المعيشية. ويعبّر عن الفجوات الطبقية ومشاكل الناس ويدافع عن الطبقات المسحوقة ويفضح الطبقة المستغلّة والعناصر الفاسدة بلغة بسيطة. في قصيدة "المجد والفاقة":

لَيسَ البَلاءُ بَلاءُ القُوتِ نَندُبُه بَل البَلاءُ بَلاءُ الخُلقِ نَنعاهُ
ما أبخَسَ الرّوحَ فِي مصر وَأرخَصَها وَأنفَسَ الخُبزَ فِي مِصرٍ وَأغلاهُ
لا تَحسَبوا أُمَّةً يعلُو أعاظِمُها إذا الفَقيرُ طَلّابُ القُوتِ أعياهُ
ما بالُ مِن ذَنبِهِ يا قَومُ إنّكم فِي العَجزِ لا فِي اقتِسامِ الرِّزقِ اشباهُ
دَفَنتُمُ المالَ آكاماً فَهَل نَبَتَتْ فِي باطِنِ الأَرضِ أو زادَتْ خَباياهُ؟!

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٧٩-٨٠)

يعتقد الشاعر أن زوال حسن الخلق بين الناس ، أهم من فقدان القوت. وهو يشكو من ذهاب كرامة النفس بسبب تسوّل الفقراء. وليس للأعاظم في هذه الأمّة شرف ومنزلة ، والرعية محتاجة إلى قوتها. كلتا الجماعتين خُلِقَتا عاجزتين ومحتاجتين إلى الله في أمورهم. ويستخدم الاستفهام لتوبيخ هذه الطبقة في قوله «دفنتم المال آكاما فهل نبتت؟» فيه إشارة إلى الآية القرآنية؛ ★...يكنزون الذّهب وَ الفضَّة ولاينفقونها...★(التوبة/ ٣٤).

في قصيدة "هيكل إدفو" يتحدث عن الطبقة القوية التي تقهر الطبقة الضعيفة ، ولكن لايبقي الدهر كذلك والطبقة القوية الظالمة مقهورة في النهاية:

النّاسُ يغتالُ القويُّ ضَعيفَهُم وَالدَّهرُ يغتالُ الفَتى المُغتالا
قَهّارُ كلِّ القاهِرينَ تَقاصَرت عَنهُ مَكائِدُ مَن طَغَى وَاحْتالا
ذَهبوا فما هَوَت الكواكبُ بَعدهُم أسِفاً وما نَقَص الثَّرى مثقالا

(العقاد ، د.ت ،مج١: ١٧٢)

كأنّه في قوله:وَالدَّهرُ يغتالُ الفَتى المُغتالا. يشير إلى الآية القرآنية (المستضعفون هم الوارثون) يقول الشاعر: إنّ الأقوياء يطغون ويظلمون الضعفاء ، ولكنّهم لا يقدرون أن يهربوا من عدالة الخالق ،وفي النهاية هم مقهورون وكيدهم أقصر من كيد الخالق ولايحزن من هلاكهم أحدٌ في العالم.

العدل

في قصيدة "عدل الموازين" ، يشير الشاعر إلى أهمية إقامة العدالة الاجتماعية من جانب الناس:

إنّا نُريدُ إذا ما الظّلمُ حاقَ بِنا عَدلَ الأُناسي لا عَدل المَوازين
عَدلُ المَوازينَ ظُلمٌ حينَ تَنصِبُها على المُساواةِ بَينَ الحُرِّ وَالدُّون
ما فَرَّقَتْ كفةُ المِيزانِ أو عَدَلتْ بَينَ الحُليِّ وأحجارِ الطَّواحِين

(العقاد ، د.ت ،مج١: ٤٠٦)

الإتيان بكلمات العدل والمساواة دلالة على أنّه مصلح اجتماعي يريد إصلاح مجتمعه وإزالة الظلم وإحياء المساواة بينهم ،و في كلمات عدل الأناسي وعدل الموازين مقارنة بين المعقول والمحسوس. هو يطالب بإقامة العدل أمام الظالمين ويريد من أبناء البشر أن يحكموا

بينهم وبين الظالمين بالعدل؛ لأنّه خلاف بين موازين العدل البشري وبين موازين ليس لها شعور ، وتعقّل؛ لاتفرّق بين الحرّ ، والدّون وبين الحُليّ وأحجار الطواحين.

إصلاح المجتمع وعاقبته

يرى العقاد في آخر قصيدة "تأبين" أنّ إصلاح المجتمع يرتبط بإصلاح الفرد؛ لأنّه يستطيع بسلاح الإيمان أن يغلب أهوائه وبسلاح (العقل) العلم يصلح مجتمعه وبهما يغلب أعدائه ومسيرة الفرد ليست منفصلة عن مسيرة المجتمع ،فكلاهما يصبّان في مصب واحد:

وتَسلَّحوا بِالماضِيينِ حِجى وإيماناً وَطيدَا
لَيسَ السّلاحُ جَميعُهُ ناراً تَلظَّى أو حَديدَا
مَن يغلِبُ الأَهواءَ عا شَ الدَّهرَ فِي سِلمٍ شَهيدَا

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٨٢١)

يقول: إنّ أمضى الأسلحة سلاحان: العلم والإيمان فليس السلاح في الجهاد سلاحا حديديا فقط.في قوله: من يغلب الأهواء عاش شهيدا إشارة إلى أحاديث في هذا المجال مثل «مَا المُجاهِدُ الشَّهيدُ في سَبيلِ اللّهِ بِأعظَمَ أجراً مِمّن قَدَرَ فَعَفَّ». (نهج البلاغة ، الحكمة:٤٧٤).

«الواقعية الاشتراكية فقد كان لديها إيمانها البديل ، الإيمان بانتصار الطبقة العاملة في العالم كله ، وقيام المجتمع الاشتراكي الذي يضمن السعادة لجميع أفراده» (عياد ،١٩٩٣: ٢١). وللأديب الاشتراكي رؤية مستقبلية واضحة لما يجب أن يكون؛ «لأنّهم مهندسو النفس البشرية» (الأصفر ، ١٩٩٩: ١٤٤). فيقول العقاد في قصيدة "عيد النيروز":

وَغَداً سَتَنقَشِعُ الغُيو مُ فَلا بُروقَ ولا رُعُود
ما كانَ غيرُ الصّالِح ينَ لَهُم قرارٌ فِي الوجُود

(العقاد ، د.ت ،مج٢: ٨٩١)

في كلمات «الغيوم والبروق والرعود» كناية عن وجود الظلام والخوف بسبب الظلم في المجتمع. هو يرجو أن يكون مستقبل الأرض دون الحرب والجدال ، ويستقرّ الصالحون في الأرض. ينبع ذلك من إيمان الشاعر بالله وبالتعاليم الإسلامية. في كلمات الصالحين ولهم قرار في الوجود إشارة إلى الآية القرآنية؛ ★...أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون★ (الأنبياء/ ١٠٥) وهي نقطة الاشتراك بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية؛ لأنّهما «تلتقيان في جوانب ظاهرية متعددة ولكنّهما تختلفان عن البعض جذورا» (ساعي ،١٩٨٥: ١٥).

من الواضح أنّ هذه الأمثلة لا تحصى في شعره وتمثلنا هذا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

النتائج

١-بإمكاننا تقسيم أشعار العقاد إلى ما تتّسم بسمات ومعالم المدرسة الرومانسية وبلغة معقدة نسبيا في أعمال العقاد الشعرية وهي: التعبير عن الحب ، الاعتماد الأكثر على العاطفة منها إلى العقل ، الابتعاد عن القضايا المألوفة الملموسة اجتماعيا ، الحنين إلى الوطن ، الحرية من كل القيود وإن كانت دينية؛ تحلي تعابير الشاعر الرومنطيقي بالصدق ، النظر إلى البواطن والانصراف عن المظاهر الملموسة المادية ، العناية بالفن الراقي في التعبير عن الانسان والحياة والكون وخاصة الطبيعة التي تحتضن الادباء كالأم الحنون.

٢-وأما خصائص المدرسة الواقعية الاشتراكية مقارنة بالرومانسية ، أغلبية قصائده تحكي عن الأغراض الاجتماعية وتحليلها والنقد الاجتماعي وتصوير الشرور والمفاسد في المجتمع كانتشار الفقر والظلم والمعاناة التي تتواجد في المجتمع. ولهذا نجد في شعره و وئاما وفاقا بين الاتجاه الرومانسي والواقعي الاشتراكي.

٣-إنّه استعان في بعض الأحيان بالأحاديث الشريفة والآيات القرآنية خلافا للشعراء الاشتراكيين الغربيين ،وينبع ذلك من إيمان الشاعر بالله وبالتعاليم الإسلامية.

٤-العقاد كان ذا شخصية ذات أبعاد متنوعة ،فلذا اتجاهاته المختلفة ليست غريبة بل طبيعية على غرار نفسيته المتعددة الجوانب والمفعمة بالتجارب المختلفة. من هنا نقول إن نزعة العقاد للواقعية الاشتراكية ليست فلسفية وعقدية ، لتنكر الحقائق السماوية والغيب والوحي الإلهي ، بل اتجاه اجتماعي للذود عن الكادحين والعمال والمحرومين من حقوقهم الاجتماعية. فجنوحه الى الرومانسية وترسيم نوع من المدينة الفاضلة ، حيث تنسجم تماما ما قام به في التيار الواقعي تحقيقا للمجتمع الفاضل العادل والبعيد عن كل المظالم ولاسيما بحق المحرومين والمظلومين والجياع وطبقة الكادحين.

٥-إنّه بقي خلال حياته الطويلة المثمرة مخلصا للدور الذي نصب نفسه له وهو إصلاح المجتمع الإنساني ومساندة الحياة الأدبية ، أي الاضطلاع بمهمته الاجتماعية والأدبية والفكرية . في النهاية صوّر العقاد ، ورسم وخطّط مستقبلا مشرقا لمصر وجميع بلدان العالم باستقرار دولة الصالحين في الأرض وباعتبارنا ،أخذت هذه الفكرة عن التعليمات

الإسلامية وثقافتها ورؤيتها الكونية وهي حلقة الاتصال الخاصة عند العقاد بين الواقعية الإسلامية والواقعية الاشتراكية.

٦-وأخيرا سعة شخصية العقاد وجوانبها المتعددة باعث من بواعث ملائمة اتجاهه للرومانسية والواقعية. كلّما كانت نفسية الفرد واسعة وشاملة تحتمل اتجاهات متنوعة ومتضادة.

٧- صوّر العقاد كثيرا من الظواهر الاجتماعية بأساليب رومانسية بمثل ما نرى أنّه يستلهم الطبيعة الغناءة إلى جانب الثقافة الاجتماعية التراثية."صوب الغمام" و"نجم السماء" ظاهرتان طبيعيتان تشيران من جانب إلى واقع صعوبات الحياة ومشاكلها لمن كان يعيش في الصحاري القاحلة والذي لايفكر إلّا بنزول الأمطار التي تنقذه وأغنامه من مرارة العطش ،كما لا يجول في خاطره إلّا التخلص من حيرة الظلام باستنجاد النجوم والمعالم. ولم ينس أنّ البون شاسع جدّا بين فكرة من عاش في الجاهلية ومن يعيش في العصر الحديث ،كما أنّ المتطلبات العصرية تختلف تماما ، لأنّ الظمأ الجاهلي قريب من الواقع ، بل حقيقي لا يتجاوز العطش الذي يعتري الجسم ،في حين أن العطش الذي يعبر عنه العقاد يكون عطشا نفسيا وفكريا.

كما نرى أن العقاد في قصيدة "سلع الدكاكين" يمدّ أذن خياله لتقتنص تلك الهيمنة الخفية من خلف أبواب الدكاكين فيسمع سلع الدكاكين تقول للناس: البِدارَ أي أسرعوا إلى نجدتنا وأطلقونا من الظلمة ، ليس لنا قرار ،نريد أن تعرضونا للبيع قبل أن يصيبنا البلى والتّمزيق. ويسمع صوت الجنين يؤثر متاعب الدنيا على أمان الغيب. كأنّ العقاد يشجّع في هذه القصيدة إلى الحرّية؛ لأنّ حياته السياسية هي عبارة عن صراع مرير بين الظلم والحرّية.

قائمة المصادر والمراجع

★خير ما نبتديء به القرآن الكريم.

ابن أبي طالب ، على (١٣٧٩ هـ .ش). نهج البلاغة. ترجمة دشتي محمد ، ط١ ، قم: دار الحكمة.

الأصفر ، عبدالرزاق (١٩٩٩م). المذاهب الأدبية لدي الغرب. د ط ، دمشق: اتحاد الكتّاب العربي.

الأيوبي ، ياسين (١٩٨٤م). مذاهب الأدب معالم وانعكاسات. ط٢ ، بيروت: دار العلم للملايين.

الجيوسي ، سلمي الخضراء (٢٠٠١م). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث. ط١ ، بيروت: الوحدة العربية.

خفاجي ، محمد عبدالمنعم (١٩٩٢م). دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه ، الجزء الأول والثاني ، ط١ ، بيروت: دار الجيل.

خليل ، إبراهيم (٢٠٠٧م). مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث. ط١ ، عمان: دار المسيرة.

ساعي ، أحمد بسام (١٩٨٥م). الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد. ط١ ، السعودية: دار المنار.

السكوت ، حمدي (١٩٨٣م). أعلام الأدب المعاصر في مصر. ط١ ، القاهرة: دار الكتاب المصري.

الشريف ، أحمد إبراهيم (١٩٨٨م). المدخل الى شعر العقاد. ط٢ ، بيروت: دار الجيل.

ضيف ، شوقي(١٩٦١م). الأدب العربي المعاصر. ط٢ ، مصر: دار المعارف.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان يقظة الصباح. د ط ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان وهج الظهيرة ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان أشباح الأصيل ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان أشجان الليل ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان وحي الأربعين ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان هدية الكروان ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان عابر سبيل ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان أعاصير مغرب ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان بعد الأعاصير ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (د.ت) ديوان بعد البعد ، بيروت: المكتبة العصرية.

العقاد ، عباس محمود (١٩٦٩م). سارة. ط٢ ، بيروت: دار الكتاب العربي.

عياد ، شكري محمد (١٩٩٣م). المذاهب الأدبية والنقدية عندالعرب والغربيين. د ط ، الكويت: عالم المعرفة.

مرزوق ، حلمي على (١٩٦٦م). تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في مصر. ط١ ، الإسكندرية: دار المعارف.

الملائة ، نازك (٢٠١٤). قضايا الشعر المعاصر. ط٥ ، بيروت: دار العلم للملايين.

هلال ، محمد غنيمي (١٩٧٣). النقد الأدبي الحديث. د ط ، مطبعة نهضة مصر.

تعليق ، عثمان نصرالدين (٢٠١٥م). موضوعات شعر العقاد/ج١ ، مجلة عود الند ، العدد١١٢.

تعليق ، عثمان نصرالدين (٢٠١٨م). موضوعات شعر العقاد/ج٢ ، مجلة عود الند ، العدد١١٣.

Sources

The Best to Begin with Is the Holy Koran*

Ibn Abi-Talib, Ali (2000). Nahj-ul-Balaghah. Translated by: Dashti, Mohammad. 1st Ed. Qom: House of Theology. (In Arabic)

Al-Asfar, Abd-ul-Razzagh (1999). Literary Schools in the West. Damascus: Arab Writers Union

Al-Ayyubi, Yaseen (1984). Literary Schools of the World and Reflections. 2nd Ed. Beirut: House of Knowledge for Millions.

Al-Jiusi, Salmi Alkhazra (2001). Directions and Movements in Modern Arabic Poetry. 1st Ed. Beirut: Arabic Unity.

Al-Khfaji, Muhammad Abd-ul-Mone'm (1992). Studies in Modern Arabic Literature and School. 1st and 2nd parts. 1st Ed., Beirut: Generation's Home. (In Arabic)

Khalil, Ibrahim (2007). An Introduction to the Study of Modern Arabic Poetry. 1st Ed., Omman: Careers' House. (In Arabic)

Sa'ii, Ahmad Bassam (1985). Islamic Reality in Lietrature and Critique. 1st Ed. Saudi Arabia: Lighthouse

Al-Sakkout, Hamdi (1983). Figures of Contemporary Literature in Egypt. 1st Ed. Cairo: Egyptian Writers' House.

Al-Sharif, Ahmad Ibrahim (1988). An Introduction to Aghad's Poetry. 2nd Ed. Beirut: Generations' House.

Dhaif, Shawqi (1961). Contemporary Arabic Literature. 2nd Ed., Egypt: Knowledge House. (In Arabic)

Abbas Mahmood, Al-Aghad (n.d.). Diwan of Morning Awakened. Beirut: Contemporary School. (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of Noon Glow. Beirut: *ibid.* (In Arabic

————(n.d.) Diwan of Noble Ghosts. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of Nocturne Melancholies. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of Forty Revelatiions. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of the Gift of Crown. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of the Passenger. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of Moroccan Sandstorms. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of After-Storms. *Ibid.* (In Arabic)

————(n.d.) Diwan of Aftermath. *Ibid.* (In Arabic)

————(1969). Sarah. 2nd Ed., Beirut: Arab Writers' House. (In Arabic)

Ayyad, Shukri Muhammad (1993). Arabic and Western Literary and Critical Schools. Kuwait: Knowledge World.

Marzooq, Helmi Ola (1966). Evolution of Modern Critique and Literary Thinking in Egypt. 1st Ed. Alexandria: Knowledge House.

Al-Mala'eka, Nazik (2014). Modern Poetry Examples. 5th Ed. Beirut: Knowledge House for Millions. (In Arabic)

Hilal, Muhammad Ghunaymi (1973). Modern Literary Criticism. Egyptian Movement Printing House. (In Arabic)

Ta'liq, Uthman Nasr-ed-Din (2015). Aghad's Poetry Subjects/Vol.1. Peer Magazine. Sudan. No. 112.

————(2018). Aghad's Poetry Subjects/Vol.2. Peer Magazine. Sudan. No. 113.